التقابل وسلطة المعنى

دراسة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية 1877 لسنة 2018م

مصدر الفهرسة : adr ILPaK-QI ara ILPaK-QI

رقم تصنيف CL: BP38.09.B3 K43 2018

المؤلف الشخصي : الخفاجي، كاظم فاخر. مؤلف.

العنـــوان : التقابل وسلطة المعنى : دراسة في عهد الإمام علي (ع) لمالك الاشتر (ره) /

بيان المسؤولية : تأليف أ. د. كاظم فاخر الخفاجي، م. د. ستار قاسم عبد الله.

بيانات الطبع : الطبعة الأولى.

بيانات النشر : العراق، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، 2018 / 1439 للهجرة.

الوصف المادي : 59 صفحة ؛ 24 سم.

سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ 426).

سلسلة النشر : (مؤسسة علوم نهج البلاغة،136 وحدة الدراسات اللغوية، سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (ع) لمالك الاشتر (ره) ؛ 41).

تبصرة ببليوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات 56-58).

موضوع شخصي : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة.عهد مالك الاشتر

موضوع شخصي : علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الإمام الاول، 23 قبل الهجرة – 40 للهجرة – خطب

مصطلح شخصي : علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الإمام الاول، 23 قبل الهجرة – 40 للهجرة – عهد مالك الاشتر

مصطلح موضوعي : التقابل (بلاغة عربية)

مصطلح موضوعي : اللغة العربية – بلاغة.

مصطلح موضوعي : اللغة العربية – المترادفات والاضداد.

مصطلح موضوعي : اللغة العربية –الدلالة اللفظية

مؤلف اضافي : دراسة لـ(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن الحسين، 359-406 للهجرة – نهج البلاغة. عهد مالك الاشتر.

اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة. مؤسسة علوم نهج البلاغة. جهة مصدرة.

عنوان اضافي : نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) (٤١)
وحدة الدراسات اللغوية

التقابل وسلطة المعنى

دراسة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

تأليف
أ. د. كاظم فاخر الخفاجي
م. د. ستار قاسم عبد الله

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1439هـ - 2017م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: 07728243600 - 07815016633

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: Info@ Inahj.org

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعمٍ ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وإنّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لحَديث الثقلين «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحيّة

النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله) إلا أنموذجٌ واحدٌ من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية التي اكتنزت في متونها كثيراً من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان

وإصلاح متعلقاته الحياتية وذلك ضمن سلسلة بحثية علمية موسومة بـ(سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله))، التي تصدر بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية والتي تهدف إلى بيان أثر هذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولة متلازمة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة والمفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

وكان البحث الموسوم بـ(**التقابل وسلطة المعنى دراسة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)**) واحداً من تلك الدراسات التي عنت بهذا الجانب، إذ تناول فيه الباحثان التقابل وسلطة المعنى في

تحديد المفاهيم التي وردت في العهد الشريف، من خلال التقابلات القديمة التي جاءت بشكل فني وإبداعي وتوظيف تلك التقابلات في الكشف عن مقاصدها وجاءت هذه التقابلات في الذوات والصفات وتقابل الشواهد.

فجزى الله الباحثين خير الجزاء فقد بذلا جهدهما وعلى الله أجرهما، والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي
رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مدخل

التقابل في اللغة: أصل التقابل والمقابلة في اللغة المواجهة قال: أبو زيد الانصاري (ت٢١٥) يقال: لقيت فلانا قبلا ومقابلة وقبلا وقبليا وقبيلا وكله واحد وهو المواجهة ومن معاني التقابل والمقابلة بين الناس في اللغة أن يقبل بعضهم على بعض اما بالذات واما بالعناية والتوافر والمودة[١].

قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾[٢]، ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٣]

والمقابل في اللغة ضد المدابر فيقال: رجل

(١) ينظر النوادر في اللغة : ٥٦٩-٥٧٠.

(٢) سورة الواقعة :الآية ١٦.

(٣) سورة الحجر :الآية ٤٧.

مقابـل ومدابـر اذا كان كريـم الطرفـين مـن أبيـه وأمـه. والمقابلـة والتقابـل واحـد وهـو قبالـك وقبلتـك اي اتجاهـك[1] ويعنـي التقابـل في اللغـة فيـما يعنـي التعـادل اذ يقـال: وزنـه عادلـه وقابلـه وحـاذاه[2]. وعـلى هـذا فالتقابـل المكاني أو المواقفي هـو الاصـل المعنـوي للتقابـل.

جـاء في لسـان العـرب: الضـد كل شيء ضـاد شـيئا ليغلبـه، والسـواد ضـد البيـاض: والمـوت ضـد الحيـاة وضـد الـشيء خلافـه، يقـال ضـادني فـلان اذا خالفـك، فـأردت طـولا وأراد قـصرا وأرادت ظلمـه وأراد نـورا فهـو ضـدك وضديـدك وقـد يقال: اذا خالفـك فـأردت وجهـا تذهـب فيـه ونازعـك في ضـده[3]، والتضـاد ((ان يجمـع بـين المتضاديـن مـع

(١) ينظر: لسان العرب :١٤-١٥(مادة قبل).

(٢) ينظر: المصدر نفسه :(مادة وزن).

(٣) ينظر لسان العرب (مادة الضد).

مراعـات التقابـل))[1] والمتضـادان عنـد العسـكري ((همـا اللـذان ينتفـي أحدهمـا عنـد وجـود صاحبـه اذا كان وجـود هـذا عـلى النحـو الـذي يوجـد عليـه ذلـك كالسـواد والبيـاض))[2].

وعنـد العـودة إلى المصطلحات البلاغيـة القديمة نـرى هنـاك تداخـلات في كثـير منهـا كـما هـو الحـال في التضـاد والخـلاف، يكشـف لنـا ذلـك أبـو الطيـب اللغـوي بقولـه: وليـس كل مـا خالـف الـشيء ضـدا لـه فالاختـلاف أعـم مـن التضـاد إذا كان كل متضاديـن مختلفـين وليـس كل مختلفـين ضديـن[3]. وكذلـك مـن المصطلحـات المرادفـة للتضـاد المطابقـة ويسـمى التطابـق أو الطبـاق ومـر هـذا المصطلـح بتحـولات كثـيره حتـى اسـتقر عنـد العسـكري

(١) التعريفات، للجرجاني :٤٨.

(٢) الفروق اللغوية، ابو الهلال العسكري :٢٩.

(٣) ينظر: كتاب الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي:٣٣.

بالجمع بين الشيء وضده[1]. وهناك مصطلح آخر يدل على الضدية، وهو الأضداد وكادت مباحثه أن تقتصر على كتب اللغة وحدها[2].

فقد نظر اللغويون القدامى إلى كلمات الأضداد على أنها تمثل مظهراً من مظاهر الاشتراك اللفظي ودليلا على سعة لغة العرب وظرفها، اذ إن الكلمة نفسها تحمل معنيين متضادين، لكن هذين المعنيين لا يردان في الجملة متقابلين وإنما متواترين أو متعاقبين[3]

مفهوم التقابل:

بالعودة إلى البلاغيين القدامى نلاحظ تعدد

(١) كتاب الصناعين، ابو الهلال العسكري :٣١٦.
(٢) ينظر على سبيل المثال، المزهر في علوم اللغة وانواعها: السيوطي .والاضداد في اللغة :ابن الانباري.
(٣) ينضر كتاب الاضداد، ابو الطيب اللغوي :٢٨.

التعاريف للموضوع نفسه، فكل واحد منهم يقدم فهما خاصا وإن لم يبتعد كثيرا عن غيره لكنه أما أن يضيف أو يحذف أو يشعب الموضوع ويدخل فيه تفرعات كثيره لكنهم مجمعون على وضع العديد من الفنون البلاغية تحت عنوان المحسنات اللفظية ولم يتطرقوا إليها على انها وسيلة في إيصال الخطاب كما ينظر إليها في الأسلوبية الحديثة.

إن الباحث في التراث النقدي والبلاغي لا يستطيع إغفال الالتفاتات الذكية التي رصدت التضاد وبينت أبعاده العميقة بوصفه وسيلة من وسائل التعبير والايحاء في اللغة وطريقة من طرق العرب في كلامها، على نحو ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني، اذ ربط التضاد بالصورة ومزجه بالاستعارة مزجا كاد أن يعده جزءا منها

فهو يرى ((أن الأشياء تزداد بيانا بالأضداد))[1]

لم يرد التقابل أسلوبا بديعيا مستقلا ضمن التقسيمات البلاغية، وإنما أشير إليه بوصفه أحد أنواع المواجهة بين الأشياء، والمخالفة المعنوية التي تطرأ على اللفظ بإزاء اللفظ الآخر داخل السياق النصي الذي جمعهما، وقد تجلت هذه الإشارات في مبحث التكافؤ وهو: أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه، ويتكلم فيه أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، بحسب قول قدامه بن جعفر، وقد أشار إلى معنى التكافؤ بقوله: والذي أريد بقولي: متكافئين في هذا الموضع أي: متقابلين، إما من جهة المصادرة، أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل، مثل قول أبي الشعب العبسي:

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني.

حُلُو الشمائلِ وهوَ مرٌّ باسلٌ
يحمي الذمارَ صبيحة الأرهانِ

فقوله:(مرّ وحلو) تكافؤ[1].

ويرى أحد الباحثين المعاصرين في الثنائيات الضدية في المنظور النقدي الحديث أن هناك ثلاث اتجاهات نقدية تدور حول مفهوم التضاد على المستوى البلاغي النقدي، اولها يدور في الغالب في فلك القديم ويحلق في سماء فكره ويردد العبارات والشواهد نفسها اذ سيطرت فكرة المحسّن البديعي والتنميق على بحوث اصحاب هذا الاتجاه في اثناء تناولهم للطباق والتضاد واستعان كثيرٌ منهم بنصوص القدماء، وإعادة ملاحظاتهم واستنتاجاتهم من دون تعليق

(١) التقابل بين البلاغة العربية والأسلوبية المعاصرة (بحث) د. خالد كاظم حميدي، ص ١، نقد الشعر ص١٤٧.

أو تجديد يلفت الانتباه، أو يثير القضية في المنظور الدلالي أو السياقي في النص اذ ان اصحاب هذا الاتجاه قلما تأثروا بموجة الحداثة وما رافقها من مناهج أسلوبية.

أما اصحاب الاتجاه الثاني: فهو مخالف في التناول لأصحاب الاتجاه الأول، فقد اهتم المعنيون بهذا المعنى بفنون البديع ولاسيما الطباق أو التضاد خارج مفهوم التحسين، بل ان بعضهم رفض تسميتها- أصلا - بالمحسنات وأصحاب هذا الاتجاه تتبعوا التضاد وآلياته على أنه عنصر بنائي في النص وليس شيئا عارضا أو دخيلا عليه وإنما هو جزء منه، فقد سلطوا الضوء عليه من حيث الوظيفة والاستعمال بطريقة تتسم بالعمق والحيوية وتجمع بين الاصالة والتجديد وأخيرا أصحاب الاتجاه الثالث: وهم من أفاد من المناهج النقدية الحديثة عموما ومن المناهج

البنيوية وامتداداتها التطبيقية في توظيف الثنائيات الضدية على وجه الخصوص حتى طغت على ابحاثهم[1].

(١) ينظر : الثنائيات الضدية في شعر ابي العلاء المعري، د. علي عبد الإمام الاسدي :٣٦ – ٤٢.

المبحث الأول: التقابل في الذوات:

نسعى هنا إلى تبيان التقابل في عهد الإمام علي (عليه السلام) لعامله مالك الاشتر على مستوى الاطراف المتخاطبة (الذوات) ومقامات المتخاطبين وردود أفعالهم؛ وذلك لبيان تماسك النص في الشكل العام والحياة التي بثها التقابل فيه مما جعله يتعدى الزمان الذي كُتِبَ فيه؛ إذ إن الباحث في التقابل في المنظور النقدي الحديث يقف على ما لم يقف عليه من سبقه.

يبدأ تقابل الذوات في النص من نقطة الشروع الأولى حينما قال (عليه السلام): ((**هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الله عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْوةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ**

أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا))[1]

يتجلى تقابل الذوات في عتبة النص ومطلعه بين المرسل والمرسل إليه والأمر بينهما (الذوات) إذ نلحظ تبلور مكانة الذاتين من خلال الأمر الذي يصدر من الأعلى إلى الأدنى، ومن خلال تتبع صيغ الأمر سوف نتعرف على ما كان عليه الإمام علي (عليه السلام) من تقواه ومكانته في الزهد، وإيثار طاعته في حدود الله سبحانه وتعالى، وإن لم يكن ذلك في النص بشكل صريح، ولكن نلمس ذلك من جملة وصاياه عليه السلام لمالك الأشتر، التي كشفها السياق لنا وهو ما يسمى بالبلاغة العربية القديمة (الاكتفاء) إذ يحذف بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب[2]، وهو ضرب من الإيجاز البليغ، بعد ذلك تأتي تفرعات

(١) نهج البلاغة :٤٥٧.

(٢) ينظر :العمدة ابن رشيق القيرواني :١/ ٢٥١.

الـذوات عـلى مسـتوى عـال مـن الإتقـان فقـد أضافـت قـوة حجاجيـة إقناعيـة في كلامـه (عليـه السـلام) عندمـا قابـل بـين مالـك الاشـتر والرعيـة والـولاة السـابقين في قولـه: ((**ثُـمَّ اعْلَـمْ يَـا مَالـكُ، أَنِّي قـدْ وَجَّهْتُـكَ إِلَى بِـلاَد قَـدْ جَـرَتْ عَلَيْهَـا دُوَلٌ قَبْلَـكَ، مِـنْ عَـدْل وَجَـوْر، وَأَنَّ النَّـاسَ يَنْظُـرُونَ مِـنْ أُمُـورِكَ فِي مِثْـلِ مَـا كُنْـتَ تَنْظُـرُ فِيـهِ مِـنْ أُمُـورِ الْـوُلاَةِ قَبْلَـكَ، وَيَقُولُـونَ فِيـكَ مَـا كُنْـتَ تَقُـولُ فِيهِـمْ**))[1].

ان هـذا النـص يعكـس التقابـل بين الإمـام (عليه السـلام) ومالـك (رضـوان الله عليـه) مـن جهة وبين الإمـام (عليـه السـلام) والـولاة الاخريـن مـن جهـة ثانيـة وبـين مالـك (رضـوا ن الله عليـه) والرعيـة مـن جهـة ثالثـة. وهـذا التقابـل يـأتي بقصـد ولغـرض عـام في تدبـير الأمـور عـلى مـا يـرام فالإمـام كان

(١) نهج البلاغة :٤٥٨.

يعي ما لدى المواجه من قوه وأثر في الاقناع عند ابرازها بهذا النسق التعبيري الذي جعل مالك الاشتر وهو الوالي مقام الناس عندما عاد بذاكرته للولاة السابقين وكيف كان ينتظر منهم الاحسان مثل ما الناس تنتظر منه ذلك، وكل ذلك من خلال التقابل وبلاغة القول (أما التجليات التقابلية في انتاج النصوص والرسائل والمخاطبات اليومية فهي كثيرة، وقوية الحضور وحسبنا التأمل والتدبر فيما نقول، وما يقال لنا لنقف على حقيقة هذا الامر كثير ما يكون التفكير التقابلي سببا في احداث بلاغة القول)[1].

من هنا تأتي أهمية التقابل من خلال ترك فسحة تصورية للمتلقي في فهم النص وكشف مكنوناته؛ إذ لم يعد يعرف التقابل بالمواجهة فقط

(١) نظرية التأويل التقابلي: ٣٠٤.

وانما بالإشارة والتلميح والتماثل والتقارب وما إلى ذلك من خلال التقابلات المتعددة وبطرق مختلفة. فمنشأ التقابل في صناعة النص هو تطالب المعاني واستدعائها في الذهن بغية التكامل فالمعنى يكمل غيره توسيعا أو تفريعا أو تأكيدا أو تقسيما، أو غير ذلك من العلاقات الحادثة بين المعاني في ذهن منشئها سواء اكان هذا التطالب أو التداعي بين المعاني الاول اي بين المعنى الاساس القابل للتفريع[1]، وهذا التطالب للمعاني وجدناه في النص، ثم ان الإمام (عليه السلام) يكرر في عرض المقابلات ما بين الذوات كما في قوله: **((أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ،**

(١) ينظر: التقابل وبلاغة الخطاب في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ ، بحث، د. علي عبد الامام، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، جامعة المثنى كلية التربية، المجلد الثامن -العدد الثاني، نيسان ٢٠١٥.

فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ))[1].

الملاحظ ان تقابل الذوات يستمر في النص حتى يأخذ مساحه واسعة منه، وهذا الاستمرار لم يأت من فراغ أو لمجرد التعبير وإنما لفائدة كان يقصدها المتكلم، وأرجع البلاغيين التكرار في الكلام إلى أغراض عدة وهو أحد علامات الجمال البارزة، ومصدرٌ دال على المبالغة في المعنى العام، يعني الإعادة يأتي لتأكيد الكلام: ﴿**كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**﴾[2].

إن بلاغة الإمام (عليه السلام) ونبعه الفياض كان واضحا في جميع نصوصه التي وردت عنه، وانه لم يتخذ وتيرة واحدة في عرض التقابلات

(١) نهج البلاغة :٤٥٩.
(٢) سورة النبأ :الآية،٤، ٥.

بل نوّع في ذلك وبطرق عدة عبر الخطاب؛ إذ مال إلى الذكر الصريح في التقابل بين الذوات و إلى التلميح والإشارة في أحيان أخرى وهنا يصرح في قوله ((**وَلاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَة سَوَاء، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لِاَهْلِ الاِحْسَانِ فِي الاِحْسَانِ،تَدْرِيباً لِاَهْلِ الاِسَاءَةِ عَلَى الاِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ**))[1]، كان ذكر الطرفين في الخطاب وعدم ترك مجال للتأويل والتحليل في حال إخفاء المقابل الآخر وذلك لأهمية الطرفين عند القائل الذي عبر عن هذه الأهمية بالذكر.

وقد لمسنا أن التقابل الخفي والظاهر- هو النواة المؤسسة لتصورات النص وفحوى مكنونه، بعد اخراجه من مفهوم البلاغة المعيارية القديمة

(١) نهج البلاغة :٤٦١.

المرتبط بالطباق والتضاد على مستوى المفردة، والانشغال في دلالته على التواجه والتفاعل عن طريق عرض الأشياء والأفكار على ما يقابلها أو يماثلها أو يضادها أو يجاريها أو ينميها أو يشرحها أو يكشف عللها وأسبابها، على وفق علامات متباينة بين العناصر والمستويات المتقابلة بوصف النص كوناً لغوياً متقابلاً يعكس الخطابات الذهنية المتقابلة للمعنى عند منتجة[1].

فالتقابل أسٌّ من أسس تماسك النص وآلية ناجعة لتحليل الخطاب تسمح بتحفيز الفكر البشري في الفهم والتفهيم والتبليغ والتأويل فيكون النص بذلك قادرا على التأثير والاقناع وهو يتجه بموضوعاته الانسانية النبيلة وافكاره الرفيعة، بأسلوب ادبي جميل إلى المتلقي الذي

(١) ينظر: نظرية التأويل التقابلي، محمد بازي :٤٦، ١٦٧، ١٦٩.

يستقبله من حيث هو بناء من العلاقات اللسانية التداولية الجامعة للقضايا وحاملاتها من الالفاظ والجمل والفقرات والمقاطع والنصوص الموازية واشتقاقاتها والتراكيب البلاغية السياقية[1].

وفي قوله (عليه السلام): ((**وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، لاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا**))[2]، رسم له طريق عبر بيان عمل الصالحين وسننهم وما كان لهم من أعمال البر وما بين عمله (الوالي) من خلال ما يسير عليه من اتباع أعمالهم أو مخالفتها، وما يتحقق عليه من أثر من

(١) ينظر :التقابل وبلاغة الخطاب في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ.

(٢) نهج البلاغة :٤٦٣.

جراء ذلك، كانت هذه المواجهة في التعبير بارزة في اظهار ذلك التحذير من المخالفة والنهي عن إحداث اي تغير في سنن الصالحين وهذا مرده إلى قول الحديث الشريف الوارد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): ((**من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**))[1].

يهتم الإمام (عليه السلام) بالسلوك الواجب اتباعه بين الأطراف المتقابلة فكان على الوالي -كما مر علينا- أن يتبع سنة الصالحين وابتعاده عن هوى النفس وما شاكل ذلك من الغرائز الإنسانية المتعددة عبر مقابلتها بما يناسبها من

(١) الاستبصار في مختلف الاخبار، ابي جعفر محمد ابن الحسن الطوسي، تحقيق محمد جواد مغنيه، تصحيح يوسف البغدادي، دار الاضواء الطبعة الاولى.

الحالات والمعاني في التعبير المباشر أو الاشارة والتلميح، فالأشياء عند الجرجاني تزداد بيانا بالأضداد ،كل تلك المقابلات اخرجت لنا نصّا بهذه الروعة مفعما بالدلالة والعمق والارشاد، قلما نجد نظيرا له في النصوص التراثية المماثلة، كما وإن تحليل النص بهذا الشكل هو لكشف البنيات الدلالية المتقابلة التي يتأسس عليها خطاب النص في اثناء صياغته، أي إدراك الأشياء بمقابلاتها، وليس القصد بالتقابل دوما التضاد – وهو الأمر الذي أشرنا إليه في بداية البحث- بل التماثل والتناظر والتشابه إلى آخره، وحضور ذوات متعددة في ذهن الكاتب جعلته يضع لكل ذات مقابل لا على أساس التضاد وإنما على أساس البيان والإرشاد والدلالة.

فصّل الإمام (عليه السلام) القول في الرعية على أساس بيان الذوات وما يصلح لكل قسم

من هذه الرعية وبيان حقوقه وواجباته: ((**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلاَّ بِبَعْض، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْض: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ، مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ**))[1]، إن فصل الذوات على هذا الاساس من التخصص أعطى لكل ذات قبالها من عمل على اساس ما تأخذه من وظيفة في المجتمع وما يترتب عليها من آثار، فكانت المقابلة ما بين الوظيفة العائدة على الذات وما بين التعامل الذي يجب معها من قبل الوالي (الذات المقابلة).

(١) نهج البلاغة :٤٦٣.

فالتقابل هو أحد مفردات علم البلاغة الذي يشمل مفردات عدّة دارت حولها قضايا هذا العلم، وإن تعريف البلاغة هي قدرة المتكلم على ايصال مقصده إلى المستمع على وفق ما يتطلب المقام، ومن زاوية نظر تأويلية التقابل تقوم بتوسيع ما ينطبق على البلاغة الانتاجية ليشمل التأويلية البليغة، القادرة على بلوغ التفهيم، إبلاغ مقاصد النص – موضوع التأويلية إلى القراءة بأعلى درجات الإيضاح والدقة والتماسك[1].

عند الاطلاع على القراءات النقدية الحديثة وخصوصا نظرية القراءة والتلقي التي صدح بها (ايزر) وما أعطى من قيمة عالية في النص للقارئ حيث ترك له مجالات واسعة في المداخلة وفهم النص من خلال ما يضيفه هذا القارئ

(١) ينظر :نظرية التأويل التقابلي، محمد بازي :١٧٨.

للنص من مخزون ثقافته وهي تناص لثقافات الآخرين (ذوات الآخرين).

في ظل فهم التقابل خارج فكرة المحسن البديعي وإيمانا بنظرية القراءة والتلقي والمساحة التي أعطتها للقارئ في فهم النص يمكن من خلال ذلك التعبير عن التقابل بمختلف انواعه (الخفي والظاهر) بروح النص من خلال ما يضيفه من تماسك للنص وجمالية في استرسال معانيه وأفكاره.

في ختام عرض (تقابل الذوات) نقف على ما تحدث عنه (عليه السلام) عن القضاة في قوله: ((**ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى**

طَمَع، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْم دُونَ أَقصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالحُجَج، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصْم، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الحُكْم، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ،أُولئِكَ قَلِيلٌ. ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلَكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا))[1].

كان هذا التفصيل الدقيق لأحوال القضاة وكيفية اختيارهم، الذي ميزهم بعديد من المميزات والمؤهلات التي يحملونها عن غيرهم،

(١) نهج البلاغة، ٤٦٤ -٤٦٥.

ثم أشار للمعاملة الخاصة معهم؛ لأن في ذلك أمانا لهم ورفع حاجتهم للناس حتى يظهر ذلك على عملهم الذي هو أساس قيام عمله وحكومته وهو العدل.

في المشهد النقدي العربي اليوم غالبا ما تأخذ متابعة الأعمال الدارسة والشارحة لنصوص الأدب، خط المقابل المهادن، والحليف المناصر للنص، فلا يعدو أن يكون دورها محصورا في التفسير أو التأويل أو المقاربة من جانب من الجوانب اعتمادا على لغة واصفة تستند إلى مرجعية من المرجعيات النظرية أو المنهجية وهو ما نجده عادة في الدراسات الأكاديمية التي انجزت على شكل بحوث جامعية، ثم نشرت بعد ذلك[1].

هذا الاتجاه يعتمد على التجريب المنهجي،

(١) ينظر :نظرية التأويل التقابلي، ٢١٧.

المرتبط بالسياق الذي أنجز فيه، وهو يقوم على التطبيق المطلق للمنهج المعتمد في المقاربة ويدفع إلى السير في اتجاه واحد من دون النظر إلى الاتجاهات الأخرى الممكنة ونادرا ما نجد دراسة نقدية هادفة تقارب مستويات العمل وتخلق معه حوارا حقيقيا عبر جهاز منهجي متسق يخرج بنتائج هامه، مدعومة بتبريرات كافية[1].

(١) ينظر: نظرية التأويل التقابلي: ٢١٨.

المبحث الثاني: تقابل الصفات

يعد تقابل الصفات، من العناصر البليغة التي ضمنت لعهد الإمام علي(عليه السلام) قوة حجاجية وإقناعية، وفائدة أخلاقية، ولعل ما يشد القارئ لخطابة هو تصور الصفات أو الطباع بهذا الشكل المتقابل، وهو دليل على إدراك وتمثيل حقيقي لصفات الانسان وسلوكه راسما بذلك لوحة تعبيرية هي غاية في الجمال والروعة والانسجام[1]. وبما ان التقابل اساس الحياة وعصبها فقد بنى عليه الإمام (عليه السلام) خطابة وتوسع به في الانتاج وصناعة المعنى وقديما قال ابن سيدة:((ومقابلة الشيء بنقيضه أذهب في الصناعة))[2]

(١) ينظر: التقابل وبلاغة الخطاب في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ.

(٢) شرح المشكل في شعر المتنبي، ابن سيدة :تحقيق مصطفى

غـير ان التقابـل عـلى وفـق النقـد الحديـث، يتجـاوز النقيـض وحـده، ليسـع انماطـا أخـر مثـل: الترتيـب أو التـأذي أو التـوازي أو الـترادف أو التخالـف وغـير ذلـك مـن الإمكانيـات التـي يبنـى عليهـا الخطـاب[1].

بـدأ (عليـه السـلام) في عـرض الصفـات عـبر الخطـاب في الذكـر الصريـح عندمـا قابـل في قولـه: ((...**جَـرَتْ عَلَيْهَـا دُوَلٌ قَبْلَـكَ، مِـنْ عَـدْلٍ وَجَـوْرٍ**))[2] مقتـضى الـكلام يتطلـب هـذا الذكـر لكـمال الصـورة عنـد المتلقـي، والاخـذ بمجامـع فكـره، فالتقابـل يضـل خاصيـة لغويـة، وتعبيريـة وفكريـة، وإنسـانية ولذلـك نجـده يتجسـد إمامنـا في

السقا و حامد عبد المجيد :٢١٧.

(١) ينظـر :التقابـل وبلاغـة الخطـاب في رسـالة المعـاش والمعـاد للجاحـظ.

(٢) نهج البلاغة :٤٥٨.

سائر الأنماط التواصلية.

ومن الملاحظ أن تحليل الخطاب بحاجة إلى أدوات وبلاغات قادرة على تبين كيفيات تشكل موضوعاته في الوعي المدرك، والباني للأفكار والمعاني لدى الكتّاب، والمؤلفين، والخطباء، والسياسيين، والاعلامين، ولذلك يُضاف التقابل إلى الادوات التي قدمتها نظريات تحليل الخطاب لما يقدمه النموذج التقابلي من مفاهيم وتصورات قادرة على تفكيك الخطاب على مستوى الاستراتيجيات التخاطبية[1].

كانت دقة الصفات موزعة في النص على حساب ما يقتضيه المعنى في ايصال فكرة القائل للإمام (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) بمعنى أعم لكل من يتلقى

(١) ينظر: نظرية التأويل التقابلي:٣٠٢- ٣٠٣.

هـذا النـص، لـذا عـبر الإمـام (عليـه السـلام) عـن طبقتـين مهمتـين في المجتمـع مشـيرا إلى صفـات كل منهـما، والأثـر المترتـب في الإفـراط بإحداهـن عـلى الاخـرى، وهـي الصفـات المتعلقـة بخاصـة الـوالي مـن طـرف، وصفـات عامـة الرعيـة مـن طـرف اخـر فقـد قـال (عليـه السـلام): ((**وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ**

مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ))[1]

حمل النص كثيرا من التقابلات البنائية التي كانت وراءها دلالات كثيرة تدل على عمق النظرة التي كان يحملها مرسل النص، فالعلاقات القائمة بين طبقات المجتمع على أساس تناقض لصفات كل طبقة بحسب مقتضى المصلحة، فالمبدع هو الذي يدرك ما وراء الظاهر العيني، ويغوص إلى الأشياء التي يدق المسلك إليها[2].

فالتقابل سمة من سمات التخاطب وبناء القول عند العرب. ولو تأملنا ما يقال وما يكتب، لتبين لنا ان التقابل المعنوي في الكون وما فيه، ينعكس على البنيات القولية المنتجة، وهو ما يبرر هذا التوجه نحو المعاني المتقابلة في

(١) نهج البلاغة :٤٥٩- ٤٦٠.
(٢) اسرار البلاغة :٢٩.

التخاطب[1].

وبالعودة إلى نص الإمام (عليه السلام) الموجه إلى مستشاري الوالي يشير (عليه السلام) إلى مجموعة من الصفات في قوله ((**وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ**))[2].

ومن الملاحظ ان تقابلات الصفات الظاهرة على سطح النص تتبلور بشكل خفي في ذهن المتلقي فالإمام (عليه السلام) يريد ضمنا عكس هذه الصفات المعلنة.

(١) ينظر: نظرية التأويل التقابلي :٣٠٣.
(٢) نهج البلاغة :٤٦٠، ٤٦١.

قرن الإمام (عليه السلام) في عرض الصفات في هذا النص بأسلوب التعليل الذي يعد وسيلة ضرورية لتوسيع دائرة دلالة النص، لان النص له دلالات عدة قد تتسع وقد تضيق والعلة والسبب في اللغة بمعنى واحد.

بعد عدّهِ (عليه السلام) لتلك الصفات بيّن اسبابها في انها ناتجة عن سوء الظن بالله تعالى، وتأسيسا على ذلك يمكننا ان نحيل بعضا من بواعث التضاد في أسلوب الإمام (عليه السلام) لأهمية ما يوصي به وما يترتب عليه في حال تركه وعدم الاخذ به وتطبيقه في شؤون الرعية.

كانت نظرة الإمام (عليه السلام) نظرة العارف عن بصيرة فهو يصف القادة من خلال فرز صفاتهم عن باقي جنود الرعية في قولة: ((**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله**

وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ، [وَأَنْقَاهُمْ]جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِىءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ))[1].

لابد لهذه الصفات من صفات مواجهة أخرى من خلالها امتاز بها القادة عن غيرهم وبموجبها كانت لهم الصدارة.

فاذا شرعنا في تأمل المواجهات المتحكمة في الكنايات البلاغية العربية القديمة بحثنا عن السمات العميقة فيها، فأننا سنقف حتما عند هذه الآلية في صناعة النصوص وتأويلها، وهذا ما يجعل عملنا مركبا يبدأ من الافتراض فالاستكشاف، ثم التحليل والاستنتاج ليأتي بعد

(١) نهج البلاغة :٤٦٣.

التصـور، ثـم تطبيقـه[1].

مـن يقـرأ النـص يقـف مذهـولا مـن روعـة مـا فيـه مـن دقـة في الوصـف والتعبـير تـارة تـراه يصنـف المجتمـع على اسـاس ميـزات كل صنف ومـا يتحمله مـن مهمـة في المجتمـع فقـد وصـف القضـاة تـم بـين صفـات القـادة في الدفـاع عـن الرعيـة.

بعـد ذلـك تعـرض الإمـام (عليـه السـلام) لصفـات حاشـية الـوالي في قولـه: ((**ثُـمَّ الْصَـقْ بَـذَوِي الْمُـرُوءَاتِ وَالأَحْسَـابِ، وَأَهْـلِ الْبُيُوتَـاتِ الصَّالِحَـةِ، وَالسَّـوَابِقِ الْحُسَـنَةِ، ثُـمَّ أَهْـلِ النَّجْـدَةِ وَالشَّـجَاعَةِ، وَالسَّـخَاءِ وَالسَّـمَاحَةِ، فَإِنَّهُـمْ جِمَـاعٌ مِـنَ الْكَـرَمِ، وَشُـعَبٌ مِـنَ الْعُـرْفِ**))[2]

بعـد بيـان هـذه الصفـات التـي يفتقدهـا غيرهـم

(١) ينظر: نظرية التأويل التقابلي :١٥١.

(٢) نهج البلاغة :٤٦٤.

(المقابل)يتبع تلك الصفات بالتعليل (فأن) والتي تتكرر على طول النص بوصفها تأكيدا لعرض تلك الافكار من خلال بيان الاسباب، ان النظرة السطحية للنص تطلعنا على صفات معينة من دون ذكر مقابلاتها إذ إن المتلقي يحصل عليها من خلال التأويل الذي ينشئه على ضوء الاطر المتقابلة الغائبة انطلاقا من الاطر الماثلة[1].

يقوم النموذج التقابلي على مفاهيم وتصورات قادرة على تفكيك الخطاب على مستوى الاستراتيجيات التخاطبيه، وعلى مستوى اللغة والاساليب، والأسانيد الحجاجية الموظفة، ومهارات التعبير، وآداب الخطاب، والتلطف وغير ذلك من ادوات التحليل أو التخيل الممكنة التي يستدعيها كل مقام نتج عنه خطاب معين[2].

(١) ينظر :نظرية التأويل التقابلي :١٩٤.

(٢) ينظر :نظرية التأويل التقابلي :٣١٤.

ومن خلال التصورات التقابلية التي نتجت من تأويل النص نستطيع وصف عهد الإمام (عليه السلام) بالدستور قال في دستوره لمالك عن احوال العمال: ((**ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ**))[1].

والقارئ لنص الإمام (عليه السلام) يتبين فكره البليغ جليا في النظر بأمر العمال عبر بيانه لصفاتهم ووصاياه فيهم وتعامل الوالي معهم،

(١) نهج البلاغة :٤٦٦.

ثم عدل بعد العمال إلى كتّاب الوالي وحفظة سره فقال: ((ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَف لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَ وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ))[1].

بعد هذا التفصيل في احوالهم (الكتّاب) لم يخف شيء من صفاتهم وما يتميزون به من

(١) نهج البلاغة :٤٦٨.

مهارات على غيرهم حتى حظوا بهذا القدر ثم بعد ذلك استوصى بالتجار فقال: ((**وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَّبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ. وَاعْلَمْ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً**))[1]، يُقدّر وضوح التقابل في ذهن منتج النص بقدر وضوحه في النص وفي تلقيه وتأويله وقوة وضوح المقابل دليل على بلاغة القول[2]، وهذا ما كان حاضرا في نص الإمام (عليه السلام) من

(١) نهج البلاغة :٤٦٩.

(٢) ينظر: نظرية التأويل التقابلي :٢٦٨.

تقابلات عدة ناتجة عن حضورها في ذهن الإمام (عليه السلام).

المبحث الثالث تقابل الشواهد:

الشاهد من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية كما يسميها أرسطو[١]، والشاهد في الخطاب العربي وسننه القولية يتمثل في الآيات القرآنية الكريمة والحديث النبوي الشريف، والامثال والحكم، والابيات الشعرية، وهي نصوص توسع مدارك المتأمل عبر مقابلتها لمعاني ما حوله من المواقف والحالات، وترغيبه فيما ينفعه، وتنفيره مما يضره لذلك كان الشاهد دعامة قوية وحجة بالغة في جميع المواقف التي يحضر فيها وقد عبر عنه الجاحظ بقوله (ومدار العلم على الشاهد والمثل)[٢]، ونجد الشاهد حاضرا بقوة في اغلب التراث العربي عبر امتداد مراحله المتعددة من الشعر الجاهلي، كذلك نجد الشاهد

(١) ينظر: الخطاب الحجاجي انواعه وخصائصه، هاجر مدقن: ٦٣.

(٢) البيان والتبين :١/ ٢٧١.

حاضراً في الخطاب القرآني: ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[1]، ويعد الشاهد عند الإمام (عليه السلام) عنصرا مرادفا للحجة والدليل والبرهان، ودعامة اساسية لإرساء الحقائق، عبر الخطاب ومن خلاله للمتلقي، في عهده لمالك (رضوان الله عليه) قال: ((**وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[2] فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ**))[3]، من خلال مطالعة النص

(١) سورة الجمعة :اية ٥.

(٢) سورة النساء: آية ٥٩.

(٣) نهج البلاغة :٤٦٥.

نلاحظ كيف ان الإمام (عليه السلام) اورد المعنى ثم قابله في الشاهد الذي كان مماثلاً لما اورده من معنى مع ذكر الشاهد بين (عليه السلام) كيفية الرد لله وللرسول (صل الله علية واله وسلم)، إذ يقوم التقابل الاستشهادي على الاتيان بمعنى، ثم تأكيده بمعنى اخر يجري مجرى الاستشهاد على الاول والحجة على صحته[1].

من الملاحظ ان الاستشهاد في عهد الإمام (عليه السلام) لم يأخذ مساحة واسعة في خطابه الموجه لمالك (رضوان الله عليه)، ولكن اقتصر على مقتضى حاجة المقام اليه، ها هو يورد شاهدا آخر في قوله ((**وَإِذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ(صلى**

(١) نظرية التأويل التقابلي :٤٠٧.

الله عليه وآله) حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى اليَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً»))[1]، مع وجود الشاهد الذي يعد تأكيدا للكلام اردف كلامه بالتعليل للتقابل علامات، أو سيماء ولا نتكلم عن التقابل الا عبر حضور احد العنصرين في مقابل عنصر اخر انه تواجه شيئين، أو شخصين، أو وضعين، أو حالين، قد يدل احدهما على الآخر بصورةوان كان غائبا فهو علامة وسيماء على بنية تقابلية قائمة على الحضور التام أو الجزئي[2].

في ظل هذا نلحظ التواجه عبر التوجيه والارشاد في قول الإمام (عليه السلام) لمالك (رضوان الله عليه) ((وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ

(١) نهج البلاغة :٤٧.

(٢) ينظر: نظرية التأويل التقابلي :١٧٥.

أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَالله وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(١))(٢).

فالنص القرآني الموظف في سياق خطاب الإمام (عليه السلام) افاد نوعين من التقابل: الاول، وهو بائن في صلب الشاهد القرآني ومتبلور من فحوى معناه، فالمقت يأتي من القول من دون العمل.

اما التقابل الآخر، فيستشف من معنى الفكرة في التقابل الأول المقابل للمعنى في النص القرآني المستشهد به، وهو منطلق فعال

(١) سورة غافر: الآية ٣٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٧٦.

في صناعة الخطاب وتوهج بلاغة. فقد برع الإمام (عليه السلام)في توظيف شواهده البينية المبينة على التقابل لإدراكه اهميتها في الاقناع والتأثير، فقد نتجت القضية ثم يأتي بمقابلها من الشواهد لغرض التوثيق والتوكيد نراه في النصح بقوله: واردد إلى الله ورسوله، يقابلها بالطاعة لله والرسول، ومن الملفت للنظر ان جميع الشواهد مبنية على التقابل بأنواعه المختلفة وذلك راجع لاتساع نقدية التقابل في بناء العهد ودلالاته فالمعاني يطلب بعضها بعضا من اجل التكامل وتوسيع المدارك والافهام.

وبوسع التأويل التقابلي ان يمدنا بمزيد من المعاني المنبثقة من الافتراضات الدلالية التي يتأسس عليها هذا الخطاب فالمثل يتقابل مع الفكرة المطروحة، ويتموضع بمثابة حجة جاهزة تؤدي وظيفة التدعيم، كونها تكتسب قوتها من

مصادقة الناس عليها وتواترها في الفعل الجمعي، فضلا عن كونها تؤدي وظيفة إعادة التوازن بين المرسل والمرسل اليه، عندما يصيب عملية التخاطب خفوت في تفاعلها.

وبذلك يقدر التقابل بالمثل كونه آلية من آليات الخطاب الإقناعي البلاغي غير المباشر في تقريب المعاني من الإفهام بضروب من الأمثلة المركبة تركيبا تقابليا حتى تناسب التصورات والفكرة التي يدافع عنها ويروم ايصالها[1].

(١) ينظر :التقابل وبلاغة الخطاب في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ مجلة اوروك العلمية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، كلية التربية، ٦٥

الخاتمة

حاول البحث قراءة الخطاب في عهد الإمام (عليه السلام) لمالك الاشتر (رضوان الله عليه) بأدوات وإمكانيات تحليلية تستند على أساس التقابل الأسلوبي فالمعاني تصنع بأبعاد وعلامات متقابلة خارج نظرة المحسن البديعي للتقابل المعهود في معاجم اللغة فقط، وإنما تقترح آليات لتوسيع مفهوم التقابل ليشمل التجاور والمحاذاة والتقريب بين المعاني عبر المواجهة بين الذوات والصفات والشواهد على مستوى التصورات والتعرف والإدراك وذلك من أجل فهم النص وافهامه انطلاقا من بنيته وسياقاته التي تتساند فيما بينها في اثناء القراءة والتلقي وبذلك نكون قد قدمنا فهما مغايراً لقراءة اي خطاب خارج ما هو متعارف في فهم وتحليل النصوص وهذا يدعونا لإعادة النظر في العديد من النصوص خارج الادوات التقليدية المتبعة.

المصادر

القرآن الكريم

١. الاستبصار في مختلف الأخبار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق محمد جواد مغنيه، تصحيح يوسف البغدادي، دار الأضواء، الطبعة الاولى (د، ت).

٢. اسرار البلاغة في علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٨م.

٣. البيان والتبين لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.

٤. الثنائيات الضدية في شعر ابي العلاء المعري، د. علي عبد الإمام، تموز للطابعة والنشر، الطبعة الاولى ٢٠١٣م.

٥. الخطاب الحجاجي (أنواعه وخصائصه)، هاجر مدقن، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، الجزائر الطبعة الاولى ٢٠١٣ م.

٦. شرح المتكل من شعر المتنبي، لابن سيده، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، الهيأة المصرية العامة للكتب، القاهرة ١٩٧٦م .

٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية .

٨. الفروق اللغوية، للأمام الأديب أبي هلال العسكري (٣٩٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د، ت)

٩. كتاب الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلي (ت،٣٥١هـ)، تحقيق عزت حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

١٠. كتاب التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م.

١١. كتاب الصناعتين، لابي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البنجاوي ومحمد ابو الفصل، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الثانية، ١٩٧١ م

١٢. لسان العرب، لابن منظور (ت٧١١)، مطبعة دار احياء التراث العربي، منشورات آداب الحوزة، قم، ايران، الطبعة الاولى، ١٤٠٥هـ.

١٣. نظرية التأويل التقابلي، محمد بازي، دار الأمان، الرباط، الطبعة الاولى، ٢٠١٣م.

١٤. النوادر في اللغة، أبو زيد الانصاري، تحقيق ودراسة، محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق بيروت، الطبعة الاولى.

١٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، تحقيق، فاتن خليل مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الاولى .

البحوث

١. التقابل وبلاغة الخطاب في رسالة المعاش والمعاد للجاحظ، د. علي عبد الإمام مهلهل الأسدي، أوروك للعلوم الإنسانية مجلة تصدر عن كلية التربية –جامعة المثنى، المجلد الثامن العدد الثاني، نيسان ٢٠١٥م .

المحتويات

مقدمة المؤسسة..... ٥

مدخل..... ٩

مفهوم التقابل ٢١

المبحث الأول تقابل الذوات: ١٨

المبحث الثاني: تقابل الصفات ٣٥

المبحث الثالث تقابل الشواهد: ٤٩

الخاتمة ٥٦

المصادر ٥٧